Journal Of the Iraqia University 62-2(30-9) September(2023)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

الموقف الإيراني من حرب الخليج الثالثة ٢٠٠٣

أ.م.د. جواد كاظم حطاب

قسم الدراسات السياسية والاستراتيجية

مركز دراسات البصرة والخليج العربي

Iran's position from third Gulf War 2003

Assis. Prof. Dr .Jewad Kadihm Hattab
Department of Political and Strategic studies
Basra and Arabian Gulf Studies Center /The University of Basrah
Jewad a lshweily@dr.com

DOI 10.58564/MABDAA.62.2.2023.308

الملخص

يتعرض البحث إلى التحدي الأكبر الذي واجه ايران في حرب الخليج الثالثة التي تعرض لها العراق ٢٠٠٣ ، وكيف واجهت ايران هذا التهديد وموقفها منه ، بعد ان اكدت الإدارات الامريكية حينها ان هدفها بعد اسقاط النظام العراقي هو اسقاط النظام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، ويبين البحث مدى قدرة ايران واستجابتها لهذا التحدي من خلال سياستها إلى اتبعتها وتطوير موقفها بما يخدم مصالح آمنها القومي ونجحت في ذلك إلى حد كبير.الكلمات المفتاحية: إيران، الولايات المتحدة الامريكية

Abstract

Research is exposed to Iran's greatest encroachment in third Gulf War which Iraq was inflicted in 2003, and how Iran faced that threat and its position, after US administrations confirmed that their target after shutting down the Iraqi regime is to topple the regime in the Islamic Republic of Iran, the research shows Iran's ability and its response to this challenge through its policy and developing its position in the interests of its national security and succeeded in it in a large extent.**Key Words:** Iran, United State(USA).

المقدمة

شكلت حرب الخليج الثالثة ٢٠٠٣ تحدياً كبير لدول المنطقة وفي موقفها من الحرب علماً ان اغلب دول الخليج كانت موافقة على الحرب لأن فيها خلاصها من النظام العراقي السابق عامل عدم الاستقرار في المنطقةوكانت ايران الدولة الأكثر أهمية في هذه الحرب لانها ستقع على أبوابها بسبب طبيعة الصراع بينها وبين الولايات المتحدة الامريكية وبسبب علاقتها غير الودية مع الدولة التي ستقع عليها الحرب وهي العراق.يحاول هذا البحث تسليط الضوء على موقف ايران من هذه الحرب وطبيعتها ، وما السياسة التي اتبعتها لمواجهة اخطار الحرب وتعزيز آمنها وقوتها ومصالحها السياسية في العراق ومنطقة الخليج العربي.احتلت الولايات المتحدة الامريكية العراق تحت دعوى امتلاكه أسلحة دمار شامل، وقد اقدمت الولايات المتحدة على شن الحرب على العراق عام ٢٠٠٣، ووجهت له ضربات عسكرية وحصارا دام اكثر من ١٢ عاماً . وبعد ان انهك النظام السياسي والمجتمع العراقي تمت عملية اجتياحه التي لم تطول العمليات العسكرية أكثر من ٢٠ يوماً بسبب الفارق التكنولوجي بين القوتين. وبعد احتلال العراق ظهرت المبالغة في الادعاءات الامريكية، فقد كان وراء هذا الاحتلال اهدافاً عدة ارتبطت بالاستراتيجية الامريكية الكونية، والاستراتيجية تجاه الشرق الاوسط وحماية (اسرائيل)،، واحكام سيطرتها على منابع النفط ومداخله. وبعدها السيطرة على المنطقة ذات الاهمية الاستراتيجية (محمد،٢٠٠٨، ٢٢١) (حميد ، ٢٠١٦، ص ١٥٧)الا ان المتغيرات الداخلية والاقليمية استمرت على نفس ما كان عليه الحال ابان حرب افغانستان ، ولم يتغير

السلوك الامريكي اذ استمرت لغة التهديد والتصعيد الامريكية. كالتغير في خارطة الشرق الاوسط. اذ اكد فريق الصقور في الادارة الامريكية . ان مشروعهم بعد اسقاط النظام العراقي هو نقل الديمقراطية إلى البلدان الاسلامية والعربية (عتريسي ، ٢٠٠٦، ص ٢٥٦).وفي بداية الأزمة فان ايران لم تتخذ اي سياسة تجاهها منطلقة من الحفاظ على مصالحها الوطنية، واكد على ذلك كمال خرازي (https://o.r.m.wikipedia.org) وزير الخارجية الايراني ١٩٩٧- ٢٠٠٥ بقولة ((نحن لا نؤيد الولايات المتحدة الامريكية ولا نؤيد العراق نحن معنيون بمصالحنا الوطنية، نحن محايدون لكننا معنيون)). مؤكدا ان بلاده ترفض اي عمل عسكري تقوم به الولايات المحتدة الامريكية ضد العراق، ليس هذا حسب بل ان الموقف الإيراني لم يكتف بإعلان الرفض المطلق للحرب، بل عمل على تجنبها كخيار من خيارات الأزمة، وبذلك فان ايران رفضت الحرب من ناحية المبدأ وبذلت كل ما في وسعها لمنع حدوثها (حميد ،١٢٥)وجاء هذا الموقف بسبب المخاوف من سيطرة أمريكية جديدة قرب حدودها، بجانب حقول النفط والسيطرة على هذه الحقول وطرق النفط خاصة بعد التغلغل الامريكي في افغانستان وبعض دول اسيا الوسطى المحاذية لبحر قزوين وثرواته، وهي قد ادركت فعلا مخاطر مثل هذه الحرب ومايمكن ان تسببه من كوارث انسانية ستدفع بالمئات من العراقيين إلى داخل ايران، ومن فوضى قد تسفر عن حروب اهلية في العراق اضافة الى احتمالات تقسيم الاخير، والاهم من كل هذا الخوف الذي كان يسيطر على الايرانيين من ان الهدف المقبل بعد العراق مسيكون ايران، وذلك تبعا لتوصيات السياسة الامريكية التي مهدت من خلال حربها على العراق وما رافقه من تبرير لتغير انظمة الحكم ونشر الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان إلى تغير النظام في ايران (عتريسي ،٢٠٠٣، ٣٢) اضافة الى المخاوف الايرانية من احتمال ظهور دولة كردية يشجع قيامها اكراد ايران على المطالبة بالاستقلال، وكذلك من قيام حكومة عراقية موالية للولايات المتحدة الامريكية يعكس ما تطمح اليه ايران بضرورة قيام حكومة اسلامية يترأسها الشيعة (سعد،٢٠١٠، ٢٢٧)واستخدمت ايران سياسة جديدة عرفت بـ (الحياد الايجابي) فهي لم تقف مع الولايات المتحدة الامريكية ولاضدها، كما انها لم تعرقل او تسهل مهمة القوات الامريكية ، وبالتالي عملت ايران على حماية مصالحها وامنها بعد الاطاحة بالنظام العراقي السابق، ووصول القوات الامريكية على حدودها، وحاولت ان تقف بوجه سياسة الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة عامة وفي العراق خاصة واقامة نظام حكم جديد في جوارها وان يكون غير معاد لها، وبذلك فالحكومة الإيرانية حرصت على ان لاتدع الولايات المتحدة الامريكية تنفرد بتشكيل حكومة عراقية صديقة لها(هادي ، ٢٠٠٣ ، ٦٠) وقد اثارت مسألة الحرب على العراق جدلا داخل ايران فقد اكد المحافظين على ضرورة الاستمرار في مقاطعة الولايات المتحدة الامريكية وعدم استئناف العلاقات معها ، بل تجاوز الامر ذلك بان اخذ بعض المسؤولين الإيرانيين يطلقون التحذيرات للولايات المتحدة الأمريكية، كما فعل مرشد الثورة، بينما قام الرئيس الايراني هاشمي رفسنجاني (١٩٩٧-١٩٨٩) بتذكيرها بدور ايران الاقليمي والمحوري والايجابي الذي لا يمكن تجاهله او تهميشه ، كما حصل في افغانستان . في حين دعا الاصلاحين ، وخاصة في مجلس الشورى إلى اجراء نوع من الحوار مع بعض المسؤولين الامريكيين لابعاد الخطر عن ايران، ووضع اللوم على عاتق العراق إلى الحد الذي دعى فيه بعض النواب الاصلاحين في ١/١٢ /٢٠٠٣ وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي وكذلك الرئيسي خامئني إلى عدم استقبال وزير الخارجية العراقي ناجي صبري (٢٠٠١-٢٠٠٣) وهددوا بسحب الثقة من الاول وبدفع الثاني الى الاستقالة ، ووضعت هذه المجموعة الاصلاحية مجموعة من الشروط دعت بغداد الى تلبيتها قبل الزيارة ومنها: تقديم اعتذار عن الحرب العراقية ضدها دفع تعويضات الحرب بقيمة (١٠٠٠ مليار دولار) ، والاعتراف النهائي باتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ واقفال ملف الأسرى والشهداء الا ان العراق الغى الزيارة (عتريسي، ٢٢). وعكست هذه الآراء اختلافا داخل المؤسسة السياسية الإيرانية في تحديد طريقة التعامل مع الولايات المتحدة الامريكية وفي تقدير المصلحة الوطنية وكيفية الحصول على مكاسب من هذه الحرب، فكان من نتائج ذلك الاستمرار على سياسة الحياد الايجابي دون اهمال ما سيؤول اليه الوضع في العراق بعد الحرب الا ان هذه السياسة الايرانية لم تكن تعني ان ايران الى جانب العراق في حربة ضد الولايات المتحدة الامريكية وانها كانت تخشى من ان تؤدي الحرب إلى مالا يحمد عقباه بالنسبة لإيران التي تفضل وجود جار ضعيف ومحاصر على وجود حكومة موالية للغرب والولايات المتحدة. وما يعنيه ذلك من اكمال الولايات المتحدة الامريكية للطوق الذي فرضته على ايران، وفي مثل هذه الظروف فانها لا تامن ما ستؤول اليه الامور في حال تغير نظام الحكم في العراق (السعدي، ٢٠١٢، ١٤٤-١٤٥).الا ان ذلك لم يمنع إيران من محاولة استغلال الوضع ان امكن لتحقيق مكاسب سياسية ومن ابرز المؤشرات على ذلك : (العلاف ، (ب، ت) بحث غير منشور)

١-انها بدأت تتحرك على اكثر من اتجاه استعدادا لمرحلة ما بعد الحرب ولتعزيز دورها في رسم مستقبل العراق السياسي.

٢- ان القيادة الايرانية اعدت خطة طوارئ متكاملة للتعامل مع التطورات المحتملة عند بدء الحرب على العراق وبناء على هذه الخطة يكون الحرس الثوري صاحب الكلمة العليا في اتخاذ القرارات المتعلقة بالأمن الوطني الايراني على ضوء مستجدات الأوضاع في المواجهة بين واشنطن وبغداد.

٣- ان التيار الاصلاحي والمحافظ اتفقا بعد عدة اجتماعات مكثفة ومع المرشد الاعلى علي الخامنئي ورئيس الجمهورية على تجميد خلافاتهما الداخلية وتعليق البت فيها، وتعدى الأمر ذلك الى محاولة ابراز دور المعارضة العراقية في ايران من خلال الصحف والتلفزيون، اضافة الى التنديد بالسياسة العراقية وتحميل نظام بغداد عواقب الامور. وحاولت ايران جاهدة مدفوعة بتخوفها من قيام الحرب الى محاولة اقناع النظام العراقي بالتنحي عن السلطة لتجنيب العراق ويلات حرب هو في غنى عنها ومن ذلك المقترح الذى تقدم به وزير الخارجية الايراني كمال خرازي في ٤/ ٣ / ٢٠٠٣، الذي تضمن اجراء استفتاء تشرف عليه الامم المتحدة بشأن انتقال السلطة في العراق في اطار خطة لتفادي الحرب .(العلاف ، (ب، ت) بحث غير منشور)وفي الوقت نفسه قامت ايران بمناورات عسكرية متتابعة تحسبا لأي ظرف، وكان اخر هذه المناورات (فجر ٨١) البحرية في ١٤/ ٢/ ٢٠٠٣ ، التي اشتركت فيها اكثر من ١٣٠ قطعة بحرية وقوات كبيرة ، وقال العميد بهرام شاملو قائد المناورات (ان المناورات تهدف الى وضع القطع البحرية والجنود في حالة استعداد لدعم امن السواحل والمياه الاقليمية، فضلا على المحافظة على استعداد وحدات العمليات والقضاء على انعدام الامن والسرقات البحرية).(عبدالمؤمن، بحث على الانترنيت)وفي المدة التي اعقبت الاحتلال الامريكي للعراق برز الصراع الامريكي مع ايران كأكبر تحدي يهدد الامن الاقليمي لادارتي كل من جورج بوش الابن (٢٠٠١-٢٠٠٩) وباراك اوباما (٢٠٠٩-٢٠١٧) ، اذ شدد الدبلوماسيون والخبراء الاستراتيجيون الامريكيون لوضع سياسة متماسكة محكمة تتراوح بين تدمير ايران وقلب نظام الحكم فيها، من جهة ومحاولة التفاوض معها من جهة أخرى. (سولومون، ٢٠١٧ ،٢٨)وفي عام ٢٠٠٣ ارسل سفير ايران في فرنسا صادق شيرازي وهو احد اقرباء المرشد الاعلى علي الخامنئي ١٩٨٩... (https: ar. m. Pedia wiki.org) (الموسوعة الإيرانية المعاصرة، ١٩٨٥، ١٦٣) مذكرة دبلوماسية الى وزارة الخارجية الامريكية في واشنطن عبر السفير السويسري، الذي كان يرعى المصالح الامريكية في طهران، جرى تسليم المذكرة خلال الاشهر التي اعقبت الغزو الامريكي للعراق واسقاط نظام صدام حسين (١٩٧٩-٢٠٠٣) . والذي اثار مخاوف الحكومة الإيرانية من احتمال ان تكون هي الهدف التالي في الشرق الاوسط، واوضحت المذكرة بإن ايران كانت تسعى لاجراء حوار موسع مع الولايات المتحدة في محاولة لتطبيع العلاقات معها، ومن بين التنازلات التي كانت ايران تفكر بتقديمها يحسب نسخة من المذكرة، كان تعليق برنامجها النووي ووضع حد لتسليحها وتمويلها لحزب الله اللبناني وحماس الفلسطينية، وتقديم مساعدة لتحقيق الاستقرار في العراق ، بالمقابل كانت ايران تريد اقامة علاقات طبيعية مع الولايات المتحدة الامريكية، ورفع العقوبات الدولية، وتقديم ضمانات بان لا تسعى الولايات المتحدة الامريكية إلى تغير النظام الايراني . لم يعتقد الامريكيون بجدية المذكرة الايرانية او انها جاءت من السلطات العليا في البلاد . (سولومون،٢٩)لم يتفق المسؤولون الامريكيون والايرانيون حول حقيقة العرض الإيراني والموافقة عليه من قبل المرشد الاعلى الخامنئي كما يشير المؤلف جاي سولومون ان اثنين من كبار المسؤولين الإيرانيين أخبراه بان المذكرة كتبت من قبل احد اقارب السيد الخامنئي وهو صادق شيرازي سفير ايران في فرنسا انداك وكان عمه كمال خرازي وهما يتمتعان بغطاء سياسي مهم لطرح مبادرتهما الدبلوماسية بفضل علاقة القربى بالمرشد الاعلى، وذكر المسؤول الإيراني الذي كان مشاركا في صياغة المذكرة (هل تظن باننا لم ندقق ونمحص كل مقطع من مقاطع الرسالة مع المرشد الأعلى؟ والا لما كنا اقدمنا على تلك المجازفة).(سولومون، ٢٨)يبدو ان ايران استشعرت حجم الخطر والقوة الامريكية بعد احتلال العراق وارادت ان تكسب بعض الوقت لتقوية نفسها حتى تكون مسألة استهدافها اصعب على الامريكيون ، وربما ارادت ان تضفي بعض التغير على سياستها حتى تتجنب المباغتة الامريكيةوبالرغم من ذلك فان كبار اعضاء ادارة بوش ومن بينهم نائب وزير الخارجية الامريكية ريتشارد أرميتاج(Retchard Armetag) لم يعتقدوا بجدية العرض الايراني فانه لو كان كذلك حسب رأيهم لكانت ايران تقدمت بالعرض مباشرة عن طريق السفير الامريكي في الامم المتحدة او عبر حلفاء واشطن الأوربيين وكان الصقور في ادارة بوش يعتقدون بان الرسالة جرى نشرها من قبل بعض الدبلوماسيين الايرانيين كحيلة دفاعيه لتفادي اي هجوم امريكي محتمل . ولم تؤخذ الرسالة حينها على محمل الجد اما لاعتبارها مجرد رسالة وهمية أو لاعتبارها محاولة يائسة للتخفيف مؤقتا من الضغط الأمريكي.(سولومون ،٢٩)الا ان ايران حرصت على توضيح موقفها من الحرب وهو الحياد واكدت بانه يتعلق اساسا وفقط بالاطار العسكري والحربي وليس الجانب السياسي والدبلوماسي والاعلامي، كما اكدوا بان حيادهم ليس مطلق وبالذات ان تعرضت ايران لعدوان عسكري اذ سيكون ردها عسكرياً حتما.(porter,95) وما يؤكد التزام ايران بالحياد العسكري وليس السياسي، ما جاء على لسان وزير الدفاع الايراني علي شمخاني (١٩٩٧-٢٠٠٥) اذ قال ((ان ايران لن تواكب أو تغامر في اي مواجهة عسكرية بين العراق والولايات المتحدة)).(ادريس ،٢٠٠٤، ص ١٠٣)وضمن نفس السياق أكد محمد رضا اصفي الناطق بلسان وزارة الخارجية الإيرانية في تعليقه على تصريحات وزير الدفاع الإيراني وتفسيره لها بأن مصالحها القومية لاتسمح بالبقاء على الحياد في مواجهة أي اعتداء امريكي محتمل ضد العراق وبالمقابل فانه اضاف "لن نكون الى جانب العراق" . وقال ((نحن نعارض هجوماً عسكرياً على العراق لكننا لن نكون إلى جانب هذا البلد)).(ادريس ، ١٠٤)وتوصل احد الباحثين الى ان معارضة ايران للحرب هي معارضة جدية نابعة اساساً من قلقها على آمنها من تهديدات محتملة، كما تدرك طهران بان الولايات

المتحدة الامريكية تريد الايقاع بها وهي تخشى ان تكون ذريعة التدخل الامريكي الإسقاط النظام العراقي بحجة امتلاك السلاح النووي مقدمة لاستخدام الذريعة نفسها ضدها في المرحلة القادمة، وعليه فان إيران وقبل الحرب على العراق حاولت ان تكيف وضعها السياسي كي لا تضع نفسها في مواجهة مع الولايات المتحدة الامريكية، وعدم توفير مبرر لمحاصرتها واضعافها وتهميش دورها، ومن ثم توجيه ضربة عسكرية لها.(حميد ، ١٥٤-١٥٥)وخير دليل للتصور الايراني أعلاه، هو ما اعلنته صحيفة (هارتز) الإسرائيلية في شهر شباط ٢٠٠٣ من ان جون بولتون السفير السابق للولايات المتحدة الامريكية في الامم المتحدة صرح ((ان الولايات المتحدة الامريكية وبعد ان تنتهي من العراق ستتولى شأن ايران وسوريا وكوريا الشمالية)).(لوران ، ٢٠٠٤، ١٤٤)وكانت الادارة الامريكية منقسمه على نفسها، فالخبراء الاستراتيجيون المتشددون وغير المحافظين في مجلس الامن القومي والبنتاغون يرون بان احتلال العراق سيضعف طهران على العكس مما رآه الكثيرون في وزارة الخارجية والبنتاغون بالإضافة الى كبار المسؤولين في (اسرائيل) والمملكة العربية السعودية والاردن ، كانوا يخشون من ان الاطاحة بنظام صدام حسين لن تسمح الا في زيادة قوة طهران وتعزيز نفوذها اقليميا من خلال التخلص من واحد من الد اعدائها وفتح ابواب العراق للنفوذ والسيطرة الايرانية بحجة ان اغلبية العراق الشيعية ستقف بقوة إلى جانب ايران بعد سقوط نظام صدام . وهوما حصل بالفعل وهو ما أكده مايكل اوربن Michele orben الذي عمل سفيراً (الاسرائيل) في واشنطن خلال فترة اوباما الرئيسية الأولى عندما قال {لم افهم يوما منطق للحرب عندما يتعلق الأمر بتحدي ايران} وقال ايضا ((لا ازال اذكر اطلاعي اعضاء الكونغرس على حقيقة ان ايران سوف تقترب اكثر من حدود إسرائيل بمجرد سقوط بغداد)). (سولومون، ٣١)وبهذا الشأن صرح الرئيس الايراني محمد خاتمي(إسماعيل ، ب .ت، ١٠٢) (١٩٩٧-٢٠٠٥) قائلا ((لا نريد ان ندخل في حرب مع الولايات المتحدة الأمريكية انها تريد الضغط على ايران لكننا سنبذل قصارى جهدنا لكي لانعطي الولايات المتحدة اي مبرر)) وبناء على هذه السياسة فان ايران على الرغم من سياسة الحياد الايجابي، اضطرت إلى الميل قليلا الى الموقف الامريكي في محاولة لدرء المخاطر من ناحيه ولتأمين بعض المكاسب من ناحية أخرى (Monshipouri dorraj,133-135) ولاسيما في ظل تنامي الضغوط الداخلية المعادية لنظام صدام حسين المطالبة بالانفتاح على الولايات المتحدة الأمريكية وهذا ماعبرت عنه بما يأتي:(الاهرام ، ٢٠١٤، ١١٤-١١٥)

١- بدأت بالتراجع بحذر عن رفضها المطلق لخيار الحل العسكري كحل للازمة، وعبر عن هذا الموقف وزير الدفاع الايراني علي شمخاني بقوله ((ان صدام لم يرحل اذ لم يهزم عسكرياً)). وفعلاً فان النظام العراقي السابق كان يخضع ويستجيب للقوة العسكرية ولاشي آخر.

٢-قيام وزير الخارجية الايراني كمال خرازي بزيارة العاصمة البريطانية من اجل الحصول على ضمانات من الحكومة البريطانية بان لاتكون ايران هدفاً لهجوم عسكري بعد نهاية الحملة العسكرية الامريكية البريطانية ضد العراق وقد سرب مسؤولون امريكيون معلومات تفيد بان ممثلين من الادارة الامريكية التقوا في عاصمة اوربية مع وفد ايراني للحصول على وعود ايرانية بمساعدات انسانية وعلى ضمانات بان ايران لاتتدخل في مجرى العمليات العسكرية اذ قررت الولايات المتحدة الامريكية الحرب على بغداد.وتزامن صدق هذه المعلومات مع توافق السياسة الايرانية مع مطالب السياسة الامريكية الذي جاء على لسان الناطق باسم الحكومة الايرانية عبدالله رمضان زادة عندما اكد بان الحكومة الايرانية لن تسمح لرئيس النظام العراقي وبقية المسؤولين العراقيين ان يدخلوا اراضيها اذا قامت الحرب.

٣- دعمت ايران وبقوة نشاط المعارضة العراقية بالتنسيق مع الجانب الامريكي .

٤- حرص ايران على عدم التدخل والتورط في أي سياسة تظهر انها تقف ضد ما تريده وتسعى اليه الولايات المتحدة الامريكية .وعادت ايران لسياسة الحياد الايجابي مقابل هذا الانحياز خوفا من ان تصيح هدفا عسكريا تاليا لالة الحرب الامريكية، كما تخوفت من الخطط الامريكية الهادفة الى تغير معطيات الجغرافية السياسية في المنطقة وتغيير معادلات القوة لصالح (إسرائيل) وبعدها عاد كبار المسؤولين الايرانيين إلى مجابهة السياسة الامريكية وانتقادها بلهجة حادة. (نذير، ٢٠٠٨ ، ٩٠)وقد وصف المرشد الأعلى للجمهورية الاسلامية السيد على الخامنئي المسؤولين الأمريكيين بانهم فاشين واشباه هتلر، وقال ((يحق لشعوب العالم أن يصفوا المسؤولين الامريكيين بانهم فاشين وبهتلر الجديد مادام هؤلاء المسؤولون يقولون علنا انهم سيهاجمون العراق فقط للدفاع عن مصالحهم الخاصة وهذا ما كان يقوله هتلر قبل الهجوم على اي بلد)) اما الرئيس الايراني محمد خاتمي فقد وجه الاتهام للولايات المتحدة الامريكية بانها تبحث عن اي ذريعة لمهاجمة العراق.(السعيدي،١٤٤-١٤٥)(مسعد ، ٢٠٠٦، ٢٥) وبعد اسقاط النظام السياسي ودخول القوات الامريكية للعراق وفي ٩ نيسان عام ٢٠٠٣ فانها اي ايران رفضت الاحتلال واكدت على حق الشعب العراقي في استعادة حريته وسيادته.(مصطفى، ٢٠١٧، ٢٨٤-٢٨٥)واعتمدت الحكومة الايرانية استراتيجية ذات محوريين داخل العراق من جهة كانت طهران وقاسم سليماني (١٩٩٨ - ٢٠٢٠) سعيدين للسماح للعراقيين السياسيين من حزب الدعوة والمجلس الاعلى، والاحزاب العراقية التي كانت في المنفى في ايران بالوصول الى السلطة في بغداد. مع العلم بانهم ينتهجون عموما سياسة موالية لايران ويبتعدون عن سياسات النظام السابق البعثية، وهذا ما

حدث بسرعة بعد انتخاب حزب دعوة لإبراهيم الجعفري رئيسا للوزراء (٢٠٠٥-٢٠٠٦) وبعدها نوري المالكي (٢٠٠٦- ٢٠١٤). (سولومون، ٧٦)ومن جهة اخرى كان قائد فيلق القدس قاسم سليماني ومساعديه يعملون على تسليح وتمويل شبكات واسعة من المنظمات التي يمكنها ان تأجج العنف في العراق متى ما شاءت طهران القيام بذلك وقصدت طهران من هذه الاستراتيجية حسب الامريكيين والعرب الذين تناولوها بالدراسة المواظبة على مضايقة مستمرة للجيش الامريكي ومنع الادارة الامريكية من تطوير تجربة العراق الى مجتمع موالي للغرب، وكان الهدف الاخر يتمثل في جعل ايران الحكم النهائي بالنسبة لاي تحالفات وتطورات سياسية على ارض الواقع. (سولومون ، ٧٦)وفعلا جاء الموقف الايراني السياسي المركب بعد الاجتياح الأمريكي عام ٢٠٠٣ بمعارضة الحرب نظريا وتأييدها في الواقع بما يكفي للتخلص من النظام العراقي السابق ، وعادت وتغيرت سياستها الخارجية. فقد وجدت الفرصة سائحة للتدخل بقوة في المناطق الجنوبية العراقية ذات الأغلبية الشيعية والعمل على تثبيت النفوذ الإيراني مستخدمة عدة ادوات لذلك منها: دعم الاحزاب والساسة العراقيين الشيعة الجدد الصاعدين الى الحكم، واستخدام الرموز الدينية، وعقد التحالفات السياسية بينهم ودعم المقاومة وخصوصا المقاومة الشيعية وتزويدها بالأسلحة وتقديم الدعم المالي بما يحقق ضعف القوات الامريكية وارباكها في العراق. كما سعت ايران لأضعاف اي حكومة معارضة لها واتبعوا سياسة نابعة من امنهم القومي تجاه العراق واعدوا العدة للاستفادة من الوضع الجديد بعد ٢٠٠٣، والتخطيط الاستراتيجي وتشكيل الهيئات المتخصصة لذلك.(هادي، ٨٩)وضمن نفس السياق حاولت ايران ملئ الفراغ الذي حدث، بعد سقوط النظام السابق وكان تدخلها لسببين: الاول التخوف الإيراني من الوجود الامريكي في العراق على آمنها القومي لحدودها الكبيرة مع العراق التي تمتد الى ١٤٤٨كم، والثاني اخذ المبادرة لسد الفراغ العربي بالنفوذ الإيراني.(نويز، ٢٠٠٥، ٢٣٢)وعليه فقد سارعت ايران الى الاعتراف بمجلس الحكم بعد تشكيله في٢٠٠٣/١٠/١٧. كأول سلطة عراقية بعد سقوط النظام السابق، واعادت علاقاتها الدبلوماسية في ١٨/ ٢٠٠٤/٩ ، ثم رحبت بحكومة ابراهيم الجعفري ووجهت دعوى لرئيس جمهورية العراقي جلال طالباني (٢٠٠٥ – ٢٠٠٤) لزيارة ايران ولبى الدعوة في تشرين الثاني ٢٠٠٥، وهي أول زيارة لرئيس عراقي لطهران منذ اعلان الجمهورية الاسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩ .(مجموعة من الباحثين العرب، ٢٠١٢، ١٨)وزاد القلق السعودي بعد احتلال العراق بسبب عجزها اي السعودية عن ايجاد صيغة للتفاهم مع ايران في تأمين المنطقة ، ومن مواجهة تأثيرها المتزايد، وتأكيدا على ذلك قد نشرت صحيفة الغارديان البريطانية في ٢٠١٠/١١/٢٩ ،وثائق حصلت عليها من موقع ويكلكس تضمنت بان العاهل السعودي الملك عبدالله بن عبد العزيز دعا الولايات المتحدة الامريكية الى مهاجمة ايران لوقف برنامجها النووي(عبدالقادر، ٢٠١٠، ١٣٥) كما ذكرت الوثائق ايضا انه شدد في رسالة نقلها السفير السعودي في واشنطن عادل الجبير على العمل الجاد في واشنطن لمواجهة التأثير الايراني في العراق وهو اولوية استراتيجية للملك وحكومته.(محمود ، ٢٠٠٥) (هادي ،٨١)وكانت ايران قد استفادت من الظروف الناشئة بعد عام ٢٠٠٣ ومنها احتلال العراق وبروز قضية كوريا الشمالية، وذلك لتحويل الانتباه بعيدا عنها لفترة كما أن ارتفاع اسعار النفط جلبت لطهران ارباحا طائلة استغلتها سريعا في برنامجها النووي. (الحريري ، ٢٠١٦، ٧٦-٧٧)واستمرارا لسياستها في احباط المشاريع الامريكية في المنطقة، عملت ايران على افشال مشروع الشرق الأوسط الكبير – الذي دعا اليه الرئيس الأمريكي جورج بوش ٢٠٠١-٢٠٠٩ George .w. Bush (ar.wikipedia.org) قبل احتياج العراق في ٢٠٠٣/ ٢/٢٦ امام مؤسسة الأبحاث الأمريكية (AEI) المسؤولة عن نشر القيم الديمقراطية في الشرق الاوسط. وعد البنتاغون الحرب على العراق ما هي الا الحلقة الاولى من سلسلة تشكيل الشرق الأوسط الكبير والذي كان من اهدافه عزل ايران وتقوية المصالح الامريكية و (اسرائيل) بالمنطقة والسيطرة عليها.(المخادي ، ٢٠٠٥، ٢١١)(الزهيري، ٢٠١٠، ١٩٢)وعليه فالولايات المتحدة الأمريكية لم تنجح في احداث التغير المطلوب في العراق ولا في فرض الاستقرار ولم تستطع تمرير ترتيباتها في عموم المنطقة العربية، وبات الوجود الامريكي في العراق هدفا للقوى المعترضة على الاحتلال وهذا انعكس سلبا على واشنطن مما زاد من تحدي المعارضين للوجود الامريكي في المنطقة، وفي هذا الجانب اكد كثيب بولاك مدير دائرة الابحاث في مركز (سابان) التابع لمؤسسة بريكسنجر ((تواجه امريكا اليوم تحديات اكثر خطورة من أي وقت مضى بما فيها الوضع الامني المتدهور في العراق. وتهديد ايران النووي وقدرة ايران على زعزعة امن العراق ودول مجلس التعاون الخليجي، فضلا عن قدرتها على تهديد امدادات النفط الخليجي، وتحريك حلفاءها الاقليمين بمن فيهم سوريا وتنظم حزب الله في لبنان، واستمرارها في دعم تنظيمات ارهابية يعتقد ان تنظيم القاعدة من بينها)).(خالد ، ١٩٤)نعتقد ان هذا يعبر عن مدى التورط الأمريكي في العراق فهي عجزت من اشاعة الامن والاستقرار فضلا عن ضعفها في مواجهة اهداف إيران في العراق، وتحديات القوى الارهابية العاملة فيه.ومن خلال السياسة الإيرانية في العراق فقد عملت على زيادة حدة المأزق الامريكي في العراق ومن ثم باتت تتعامل بثقة فيما يخص ملفها النووي الذي اندلعت الازمة فيه بتوقيت غير ملائم للإدارة الامريكية التي انهمكت بالكامل في العراق، ولم يكن ممكنا لها ان تسارع في تصعيد عسكري جديد كما ادركت واشنطن ان الحرب على ايران تحتاج الى تأييد دولي واسع سواء لجعل الحرب تبدو حرباً دولياً أو لتقليل تكلفتها.(محمود ، ب .ت، ٢٠٢)وان التغير الذي طرأ على البيئة الاقليمية بعد عام ٢٠٠٣ من قبل

الولايات المتحدة الامريكية ادى الى تغيير في سياسة ايران الخارجية لمواجهة هذا التطور الذى حدث، ولذلك اتجهت هذه السياسة في رؤية الترتيبات اللاحقة في المنطقة إلى اتجاهين : الأول : يكون الامن في الخليج العربي من مسؤولية دولة وان اي تشكيل لنظام امني اقليمي لابد ان تكون ايران طرفا اساسياً فيه ، والثاني : هو ضرورة ابعاد القوى الاجنبية عن الترتيبات الامنية في الخليج.(نصر ، ٢٠١١، ٣٣٦)،(هادي ، ٥٨-٥٩).

الخاتمة

وجدت إيران نفسها عندما قررت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على العراق٢٠٠٣، بين فكي نقيضين. فمن ناحية ابقاء العراق ضعيفاً محاصراً ومع امكانية استمراره بزعزعة الامن والاستقرار في المنطقة مما يشكل عاملا مهدداً لهاومن ناحية اخرى ان مجئ القوات الامريكية واحتلال العراق سيجعل الولايات المتحدة الامريكية تدخل المنطقة وتتحكم بمقدراتها السياسية والاقتصادية والامنية وتكون جارا لأيران عوضاً عن النظام العراقي السابق وهي القوة العسكرية الاولى في العالم وهذا يعد تهديدا مباشرا لهاورغم المخاوف الإيرانية فانها اتخذت مبدأ الحياد وهي ان هدف الولايات المتحدة الامريكية ليس اسقاط النظام العراقي فحسب بل اسقاط النظام في ايران.وهنا حاولت الاستفادة من الموقف فهي اذ لم ترحب بالحرب مع النظام العراقي فانها لم توافق اطراف اخرى في الحكومة الإيرانية ارادت الحرب للقضاء على النظام العراقي ورفضت السماح لرأس النظام العراقي وعائلته اللجوء لأيران، وغيرت من سياستها تجاه الإحداث في المنطقة والعراق باتجاه عدة محاور: فهي حاولت ان تضفي بعض القوة على موقعها وتأثيرها في المنطقة، وان لاتسمح بنجاح التجربة في العراق وقيام نظام برلماني ديمقراطي موالي للولايات المتحدة الامريكية والغرب، وصممت على افشالها وبذات الوقت عملت على افشال المشروع الامريكي في المنطقة بتغير الانظمة المحافظة وهو ما عرف بمشروع الشرق الأوسط الكبير. وبعد احتلال بغداد دعمت المعارضة العراقية وسلحتها وامدتها بالمساعدات العسكرية والاستخبارية، فحاولت كسب المناطق الشيعية عن طريق الرموز الدينية في هذه المناطق ورشحتها لاستلام ادوار مهمة وقيادية وكان تسليح المقاومة الشيعية للتصدي للوجود الامريكي اسهمت بالفعل بايقاع أكبر الخسائر بالقوات الامريكية وادى بها إلى الانسحاب من العراق فيما بعدوأصبح العراق محط تنافس أمنى واستخباراتي بين ايران والولايات المتحدة الامريكية وتفوقت ايران في هذا المجال.ولا يمكن وصف الموقف السياسي الايراني بالازدواجية، كما ذهب اليه بعض الباحثين لان طبيعة الموقف تتطلب مثل هذه السياسة فهي دعمت المعارضة العراقية لانها ادركت ان النظام العراقي في وضع المنتهى في الحرب لعدم قدرته على مواجهة القوة الامريكية. ومن ثم عملت ايران على تأهيل المعارضة العراقية بعد سقوط النظام وكسب تأييدها لمسك ادوار مهمة في السلطة.

مصادر البحث

١. أدريس محمد سعيد، ٢٠٠٤، ايران والخليج العربي، مجلة السياسة الدولية ، العدد، ١٥٠ ، الاهرام .مصر.

٢. الحريري، جاسم يونس ، ٢٠١٦، الدور الخليجي في العراق ، دار الجنان للنشر والتوزيع . الأردن.

٣. المخادمي ، عبدالقادر رزيق، ٢٠٠٥، مشروع الشرق الأوسط الكبير، الحقائق والاهداف والتداعيات ، دار الزهراء . بيروت.

٤. السعدي ، بهاء عدنان، ٢٠١٢، الاستراتيجية الامريكية تجاه ايران بعد احداث ١١ أيلول عام ٢٠١١،

٥. العلاف، ابراهيم خليل، ب. ت، ايران والتهديدات الامريكية بالعدوان على العراق، الموصل ، بحث غير منشور.

٦. التقرير الاستراتيجي الغربي ٢٠٠٢-٢٠٠٣، ٢٠١٤، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الاهرام . مصر.

٧. حميد ، محمد طالب، ٢٠١٦، العلاقات الإيرانية الامريكية . توقف ام تقاطع . ط١، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة.

٨. حسين مصطفى، شمال ، ٢٠١٧، القوة والسياسة الخارجية الامريكية مابعد احداث ١١ سيتمبر ، ط١، سليمانية .

٩. سولومون، جاي، ٢٠١٧، حروب ايران – العاب الجاسوسية والمعارك المصرفية والصفقات السرية التي اعادت ترتيب الشرق الأوسط

١٠. سعد، نيفين عبدالمنعم ، ٢٠٠١، صنع القرار في ايران والعلاقات العربية الإيرانية ،بيروت ، د.م.

١١. عبدالقادر ، اشرف عبدالعزيز ، ٢٠٠١، الولايات المتحدة وأزمة الانتشار النووي ، الحالة الإيرانية ، ٢٠٠٢-٢٠٠٩،

١٢. عتريسي، طلال ، ٢٠٠٦، الجمهورية الصينية –ايران في تحولاتها الداخلية وسياستها الإقليمية ، دار الساقي ، بيروت.

١٣. عتريسي، طلال ، ٢٠٠٣، ايران إلى أين ؟ المستقبل العربي ، العدد٢٨٢، بيروت.

١٤. لوران، ايراك ، ٢٠٠٤، عالم بوش السري ت ، سوزان فازان، دار الجليل بيروت.

١٥. محمود ، احمد ابراهيم ، ٢٠٠٥، السياسة الإيرانية والملف النووي في عهد احمد نجاد . مجلة مختارات ايرانية، العدد، ١٦،

١٦. محمد ، هيفاء أحمد، ٢٠٠٨ ، الاستراتيجية الامريكية واثرها على الوضع الأمني والاجتماعي في العراق ،

١٧. نصر، ولي ، ٢٠١١، الانبعاث الشيعي كيف سيتشكل الصراعات الداخلية في الإسلام . ت. مختار الاسدي ، دار الكتب العراقية ، بيروت .

١٨. نويز ، جيمس ، ٢٠٠٥، الحرب الامريكية على الإرهاب وآثرها على العلاقات الامريكية – العربية . سلسلة محاضرات ،٩٤،

١٩. هادي ، احسان أحمد ٢٠٠٣، العلاقات الإيرانية– السعودية ، ط١، دار مكتبة البصائر ، بيروت.

Sources

1- Adris Mohammed Saeed, 2004, Iran and the Arabian Gulf, International Politics Journal, Issue 150, Al-Ahram, Misr.

2- Hariri, Jasim Younis, 2016, Gulf role in Iraq, Dar al-Jinan Publishing and Distribution. Jordan.

3- Al-Makhadami, Abdulkader Riziq, 2005, The Great Middle East Project, Facts, Objectives and Ramifications, Dar Al-Zahra. Beirut.

4- Al-Saadi, Baha 'a Adnan, 2012, US strategy towards Iran after the events of 11 September 2011, Al-Mehajah Al-Bayda Publishing and Distribution House, Beirut.

5- Al-Alaf, Ibrahim Khalil, B. Iran and US threats of aggression against Iraq, Mosul, unpublished research.

6- Western Strategic Report 2002-2003, 2014, Centre for Political and Strategic Studies, Al-Ahram. Egypt.

7- Hamid, Mohammad Taleb, 2016, Iran-America Relations. Stop or intersect. 1, Arabic Publishing and Distribution, Cairo.

8- Hussein Mustafa, North, 2017, American Foreign Power and Policy after the events of 11 September, 1, Soleimani.

9- Solomon, Jay, 2017, Iran Wars - Spy Games, banking battles and secret deals that rearranged the Middle East, T, Fawaz Za 'rour, Arab Book House, Beirut.

10- Saad, Nevin Abdulmenim, 2001, Decision-Making in Iran and Arab-Iranian Relations, Beirut, D.M.

11- Abdulkader, Ashraf Abdulaziz, 2001, United States and Nuclear Proliferation Crisis, Iranian case, 2002-2009, UAE Center for Strategic Studies and Research. Abu Dhabi.

12- Atrisi, Talal, 2006, Republic of China-Iran in its internal transformations and territorial policy, Dar al-Saqi, Beirut.

13- Atrisi, Talal, 2003, Iran where? Arab Future, No. 222, Beirut.

14- Laurent, Irak, 2004, Bush's Secret World T., Susan Fazan, Dar al-Jalil Beirut.

15- Mahmoud, Ahmad Ibrahim, 2005, Iranian policy and nuclear file under Ahmad Nejad. Iranian anthology magazine, issue, 16, Center for Political and Strategic Studies, Cairo.

16- Mohammed, Haifa Ahmed, 2008, American Strategy and its Impact on the Security and Social Situation in Iraq, Books Series of the Iraq Center for Studies, Issue 25, Iraq.

17- Nasr, Lee, 2011, Shia resurrection how internal conflicts in Islam will be shaped. T.T. ' Mukhtar al-Asadi, Iraqi Book House, Beirut.

18- Noise, James, 2005, US war on terrorism and its impact on US-Arab relations. Lecture Series, 94, UAE Center for Strategic Studies and Research, Abu Dhabi.

19- Hadi, Ehsan Ahmed 2003, Iran-Saudi Relations, T1, Baseer Library House, Beirut.